[باب المواقيت]

[٥٣ – عن أبي عمرٍو الشيباني – واسمه: سعد بن إياسٍ – قال: حدثني صاحب هذه الدار – وأشار بيده إلى دار عبدالله بن مسعودٍ – قال: سألت النبي ﷺ: أي **العمل أحب إلى الله ﷻ؟ قال: (الصلاة على وقتها) قلت:** ثم أي؟ **قال: (بر الوالدين) قلت:** ثم أي؟ **قال: (الجهاد في سبيل الله). قال: حدثني بهن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني].**

يقول المصنف – رحمه الله –: **[كتاب الصلاة]** الصلاة في اللغة: الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾. وتطلق الصلاة بمعنى الرحمة، ومنه قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ فصلاة الله على نبيه ﷺ: الرحمة. ومن استعمال الصلاة بمعنى الدعاء: قول الشاعر:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا   يا رب جنّب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليتِ فاغتمضي   عيناً فإن لجنب المرء مضطجعا

أي: عليك مثل الذي دعوتِ. ومن إطلاق الصلاة بمعنى الرحمة: قول الشاعر:

صلى المليك على امرئٍ ودعته   وأتم نعمته عليه وزادها

وتطلق الصلاة بمعنى: البركة والزيادة في الخير، ومنه قوله – عليه الصلاة والسلام –: (اللهم صل على آل أبي أوفى) قيل: بارك لهم في طعامهم؛ لأن هذا الدعاء وقع بعد فراغه من إكرامهم له – صلوات الله وسلامه عليه –.

و**[كتاب الصلاة]** أي: في هذا الموضع سأذكر لك ما ورد عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة والتي تبين أحكام الصلوات، والصلاة منها: ما فرضه الله ﷻ ، كالصلوات الخمس – ويدخل فيها الجمعة؛ لأنها بدلٌ عن الظهر –، ومنها: ما ليس بمفروضٍ، والذي ليس بمفروضٍ منه: ما هو مرتبٌ، كصلاة الوتر، وصلاة السنن الراتبة التي تكون قبل الفرائض وبعدها، ومنها: نوافل مطلقةٌ. وإذا قال العلماء: "كتاب الصلاة" فإنهم يعتنون بذكر الأحاديث التي تبين جميع هذه الصلوات.

وقوله: **[كتاب الصلاة]** قال: "كتاب"؛ لأنه يشمل كثيراً من الأبواب، وقد ذكر – رحمه الله – كتاب الصلاة بعد كتاب الطهارة؛ لأن الله أمرنا بالطهارة أولاً ثم بالصلاة بعد ذلك، فناسب بعد الفراغ من الوسيلة: أن يشرع في بيان المقصد والأصل الذي من أجله شرعت الوسيلة.

وقوله – رحمه الله –: **[باب المواقيت]** "المواقيت": جمع ميقاتٍ، يقال: وَقَّت الشيء يؤقته تأقيتاً: إذا حدده، ويكون التحديد من الله ﷻ للعبادة يحددها زماناً ويحددها مكاناً، فيجعل لها زماناً لا يجوز للمكلف أن يسبقه ولا أن يتأخر عنه، ويجعل لها مكاناً لا يجوز له أن يسبقه، أو يتأخر عنه، وقد يجيز له السبق، ولا يجيز له التأخر عنه، ومن أمثلة ذلك: الحج والعمرة، فإن الحج والعمرة لهما ميقاتٌ مكانيٌ، وهي: المواقيت التي سمى رسول الله ﷺ في حديث ابن عباسٍ وابن عمر في الصحيحين. وأما الميقات الزماني: فإن الله جعل للحج أشهراً معلومةً، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾.

وفي الصلاة: هناك ميقاتٌ زمانيٌ وليس هناك ميقاتٌ مكانيٌ، فالصلاة حدَّ الله ﷯ وقتها، فلله ﷯ صلواتٌ بالنهار لا يجوز للمسلم أن يصليها بالليل – يؤخرها إلى الليل –، ولله ﷯ صلواتٌ تصلى ويؤديها المكلف بالليل، لا يجوز له أن يؤخرها إلى النهار، وقد أشار إلى ذلك أبوبكرٍ ﷛ بقوله في وصية موته: "إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، ولله عملٌ بالنهار لا يقبله بالليل" فَأَقَّت الله الصلوات، وهذا التأقيت فيه امتحانٌ واختبارٌ للمسلم، فالله ﷯ يبتلي عباده بهذا التأقيت، ويكون فيه امتحاناً لهم في الاستجابة لفعل هذه الفرائض في أوقاتها، ولذلك من حافظ على هذه المواقيت، فقد أسعد وأفلح ونجح، وأصاب خيري الدنيا والآخرة، قال ﷺ: (إن العبد ليصلي الصلاة، وما يصليها في وقتها، ولما فاته من وقتها خيرٌ له من الدنيا وما فيها) فجعل الله للصلاة ميقاتاً زمانياً، وأما المكان: فإن الله جعل الأرض مسجداً وطهوراً، ولم يجعل المسلم مطالباً بالصلاة – فقط – في المسجد، بحيث لا تصح صلاته في أي موضعٍ آخر، وإنما يطالب بالحضور والشهود مع الجماعة، كما سيأتي – إن شاء الله – بيانه.

يقول – رحمه الله –: **[عن أبي عمرٍو – واسمه: سعدُ بن إياسٍ –: أنه سأل عبدالله بن مسعودٍ]** قوله: **[سألت صاحب هذه الدار – وأشار إلى دار عبدالله –]** وهي دار عبدالله بن مسعودٍ – رضي الله عنه وأرضاه – صاحب السِّوادين والنعلين، كان صاحب فراش رسول الله ﷺ ، فهو الذي يفرشه لرسول الله ﷺ ، وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ، فيدخل على النبي ﷺ أي ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، ولو كان في نجوى. قال له: (رفعت لك الحجاب، وأذنت لك أن تسمع سِوادي حتى أنهاك). وكان إذا خرج رسول الله ﷺ تقدم فوضع نعله لرسول الله ﷺ ، وإذا أراد أن يجلس – عليه الصلاة والسلام – في المجلس أخذ نعلي رسول الله ﷺ ووضعهما تحت إبطيه ثم جلس مع رسول الله ﷺ ، كان سادس ستةٍ ما على وجه الأرض يومها مسلمٌ، فكان

سدس الإسلام، قيل: إنه سبق عمر بن الخطاب ﷺ بالإسلام، وهو أحد الأربعة الذين أمر رسول الله ﷺ بأخذ القرآن عنهم، ثانيهم: أبيٌّ بن كعبٍ، وثالثهم: معاذٌ، ورابعهم: سالمٌ مولى أبي حذيفة – رضي الله عنهم وأرضاهم –. كان عبدالله بن مسعودٍ من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وبشره بها، وثبت عنه – عليه الصلاة والسلام –: أنه لما عبثت الريح بالشجرة، فرأوا دقة ساقي ابن مسعودٍ، فضحك الصحابة، فقال – بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه –: (أتضحكون من دقة ساقيه ! فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحدٍ) رضي الله عنه وأرضاه، ثقل ميزانه، وابيضَّ ديوانه؛ بما قدم من صالح الأقوال والأعمال، ومن الصحبة الفاضلة الكاملة لرسول الله ﷺ ، توفي – رضي الله عنه وأرضاه – سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وصلى عليه الزبير بن العوام – رضي الله عنه وأرضاه، وجعل أعالي الفردوس مسكنه ومثواه –.

[**قال: سألت رسول الله** ﷺ – فنعم السائل ونعم المسئول –: **أي العمل أحب إلى الله؟**] فجزى الله ابن مسعودٍ كل خيرٍ على هذا السؤال العظيم الذي يدل على فضله وحبه للخير وحبه لطاعة الله سبحانه وتعالى ، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خيراً عن هذه المسألة النافعة، فقال: "أي العمل أحب إلى الله؟" كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يتعطشون ويتلهفون لحب الله ورسوله ﷺ ، كانت حياتهم وعيشتهم وهمهم الأكبر: مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فالواحد يبحث أين رضوان الله، ولو كان في نفسه التي بين جنبيه يقدمها وهو يوقن ويستشعر استشعاراً كاملاً أنها رخيصةٌ في جنب الله جل جلاله .

[**أي العمل أحب إلى الله؟**] لما عظمت محبة الله في قلوبهم وسمت، وأصبحت شيئاً عظيماً وهدفاً كريماً، سألوا: كيف السبيل إليها؟ "أي العمل أحب إلى الله؟" و" أحب ": صيغة "أفعل" تدل على أن الأعمال الشرعية محبوبةٌ لله سبحانه وتعالى ، ولكن بعضها أعظم وأفضل من بعض، ولذلك يقول العلماء في قوله: "أي العمل أحب؟" يدل على تفاضل الأعمال، فقد يكون هناك عملٌ يسيرٌ ويفضل عند الله العمل الكثير، مر رسول الله ﷺ على أم المؤمنين وهي تسبح وتذكر الله، ثم رجع إليها بعد وقتٍ، فقال – عليه الصلاة والسلام –: (لقد قلت بعدك كلماتٍ لو وزنت بما قلتيه لرجحت: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) فالأعمال تتفاضل والأقوال تتفاضل، ولكن الأعمال إذا صحبها الاستشعار والإخلاص الكامل، عظم ثوابها عند الله، فقد تعمل عملاً يسيراً ليس بذي بالٍ، ولكن عندك إخلاصٌ وصدقٌ كاملٌ، يرفع الله به درجتك، ويعظم الله به أجرك، ويعلي به منزلتك، قال ﷺ: (مر رجلٌ على غصن شوكٍ بالطريق، فقال: والله لأنحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم، فزحزحه عن الطريق، فزحزحه الله به عن نار جهنم)، وثبت في الحديث الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام –: (أن بغياً من بغايا بني إسرائيل مرت على كلبٍ

يلهث الثرى من الظمأ – بغي كانت في سوئها وفجورها، فلما رأت الكلب رحمته –، فنزلت فملأت موقها – يعني : خفها –، فسقته، فشكر اللهَ) أي: أن الكلب سأل الله أن يشكرها؛ لأنه لا يستطيع أن يقدم لها، فسأل الله أن يشكرها على ما أسدت إليه من خيرٍ. قال ﷺ: (فشكر اللهُ لها فغفر ذنوبها) وفي روايةٍ : (فشكر اللهَ لها فغفر ذنوبها) فعلى رواية النصب يكون المعنى: أن الكلب سأل الله أن يشكرها، وعلى رواية الرفع يكون: أن الله أعظم منها هذه الحسنة فغفر ذنبها، فالعمل اليسير من الطاعة إذا صُحب بالاستشعار، وصُحب باليقين والمعاملة الخالصة لله سبحانه وتعالى فضُل وعظم أجره، فقد يزحزح الإنسان الغصن ولا يتفكر أن هذا فيه ضررٌ على المسلمين، فيكون أجره أقل من الذي يزحزحه شفقةً على المسلمين، فهذا الرجل لما مر على الغصن وتذكر إخوانه المسلمين، فكان من كمال إيمانه وإسلامه: أنه كره لهم الشر، فانظر إلى عباد الله المسلمين الذين دفع عنهم الشر بهذا الأمر الذي فعله، فكان سبباً أن يزحزحه الله به عن نار جهنم، قال العلماء: الأعمال تتفاضل والأقوال تتفاضل، والله عز وجل يفاضل بينها بحكمته وعلمه، يقص الحق وهو خير الفاصلين. **[أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟]** قال – عليه الصلاة والسلام – في جوابه: **[(الصلاة على وقتها)]** "الصلاة على وقتها" أي: الصلاة المفروضة، "على وقتها" أي: في الوقت الذي تؤدى فيه، وهو: الوقت الذي سمى الله وسمى رسوله ﷺ ، فقال سبحانه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ هذه الآية شملت مواقيت الصلوات الخمس – كما سيأتي إن شاء الله –، وبينها رسول الله ﷺ بالسنة الفعلية والقولية، فالصلوات الخمس لها وقتٌ يبتدئ فيه فعلها، ووقتٌ ينتهي فيه فعلها فلا يجوز للمكلف أن يتأخر عنه، فلذلك يقولون: بداية الوقت ونهاية الوقت، فقوله: **[(الصلاة على وقتها)]** أي: في وقتها، وللعلماء في هذا أقوالٌ:

قال بعض العلماء: قوله – عليه الصلاة والسلام –: **[(الصلاة على وقتها)]** أي: على أول وقتها، وذلك لحديث ابن حبان والحاكم – وصححه غير واحدٍ – أنه قال فيه – عليه الصلاة والسلام –: (الصلاة على أول وقتها) وذلك أن أول الوقت هو أفضل أوقات الصلاة، إلا في صلاة العشاء، فأفضلها: أن تؤخر؛ لأن النبي ﷺ –كما ثبت في الصحيحين –: (كان يستحب أن يؤخر من العشاء) وكذلك أيضاً، ثبت عنه – عليه الصلاة والسلام – في حديث أنسٍ في الصحيحين: (أنه أعتم بالعشاء حتى رقد النساء والصبيان) فقوله: **[(الصلاة على وقتها)]** الأفضل: أن تؤدى الصلوات الخمس في أول الوقت، إلا صلاة العشاء، فالأفضل: أن تؤخر، كما سيأتي – إن شاء الله – تفصيله وبيانه.

وقوله: [(**الصلاة على وقتها**)]؛ لأنه كلما أداها في أول الوقت كان ذلك أبلغ في امتثاله لأمر الله ﷻ ، وإذا كان أبلغ في امتثاله، فمعناه: أنه امتثل أعظم الأمور بعد التوحيد – وهي: الصلاة – فأداها في أول أوقاتها، فكان أحب الأعمال إلى الله ﷻ.

وقوله – عليه الصلاة والسلام –: [(**الصلاة على وقتها**)] فيه دليلٌ على أن للصلاة وقتٌ، وهو ظاهر قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

[**قلت: ثم أي؟**] أي: ما الذي يلي الصلاة على وقتها؟ في قوله: "قلت: ثم أي؟" يدل على أن ما سيُذكر يلي الصلاة في الفضل، فقال – عليه الصلاة والسلام–: [(**بر الوالدين**)] وبر الوالدين من أعظم القرب، وأعظم الوسائل التي توجب رضوان الله عن العبد، ولو لم يكن في بر الوالدين إلا أن الله قرنه بتوحيده، فقال ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ ولما قص لنا شرائع من قبلنا قال عن نبيه عيسى: ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ وقال عن يحيى: ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ ﴾ فبر الوالدين وصية الله للأولين، ووصيته للآخرين، ولخلقه أجمعين؛ شكراً للإحسان، وأداءً للفضل، ورداً للجميل والفضل، ومن يستطيع أن يكافئ والديه على ما قدما، وكان منهما من الخير؟ ولذلك جعل النبي ﷺ مرتبة البر بعد الصلاة، وبر الوالدين يكون بالأقوال، ويكون بالأعمال، وقد جمع الله ذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، فأمرنا الله بالبر بالقول وأمرنا بالبر بالعمل، فأما بر القول: فجمع فيه بين أمرين: أسلوب الأمر، وأسلوب النهي، فقال: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ ﴾ لأنها خفيفةٌ على لسانك، ولكنها ثقيلةٌ في قلب الوالدين، "أفٍّ" ولو كانت يسيرةً على لسان الابن، لكنها ثقيلةٌ وعظيمةٌ في قلب الوالد والوالدة، فلا يعلم مقدار ما أسكن الله من الرحمة في قلب الوالدين إلا الله ﷻ ، ولذلك ذرفت عينا رسول الله ﷺ لما توفي ابنه إبراهيم، فقيل: ما هذا يا رسول الله؟ قال: (رحمةٌ أسكنها الله في قلوب عباده). ولما قبّل الحسن والحسين، وقال: يا رسول الله، إن لي عشرةً من الولد ما قبلت واحداً منهم، قال: (أوَأملك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟). فالله جعل في الوالدين من الرحمة والحنان والعطف، ما لا يستطيع الإنسان أن

يرد جميله، إلا أن يحيلهما على الله أن يرد إحسانهما بأحسن وأكمل وأفضل مما كان منهما، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ كان أبو هريرة – رضي الله عنه وأرضاه – إذا دخل على أمه يقول: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، رحمك الله يا أُمَّا كما ربيتيني صغيراً "، فتقول: " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، رحمك الله يا بني كما بررتني كبيراً ". بر الوالدين يكون بالأقوال، ويكون بالأفعال، فأشار الله إلى الأقوال والأعمال بقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ فقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الإسلام يدعو المسلم أن يكون كريماً عزيزاً، لكن في الوالدين قال: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ فيكون الإنسان ذليلاً عند والديه.

كان بعض السلف يجمع ماله إذا عمل يومه ويأتي به إلى والديه، فإذا أتى لوالده لكي يعطيه المال، وضع ماله أمامه، جاء بصُرّته ووضعها أمامه، فقيل له: لم لا تعطيها لأبيك؟ قال: أخشى أن ترتفع يدي على يده، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾. قيل لبعض السلف: ما بلغك بك من برك لوالديك؟ قال: لو سألتني أن أصف أبي ما استطعت. لأنه ما رفع بصره في وجه أبيه، فقيل لثانٍ: ما بلغك بك من برك لوالديك؟ قال: والله ما رقيت على سطحٍ تحته أبي أو أمي. وقيل لثالثٍ: ما بلغك بك من برك لوالديك؟ قال: ما أكلت معهما في قصعةٍ واحدةٍ، قيل: أوَذاك من البر؟ قال: أخشى أن تمتد يدي إلى طعامٍ يحبانه. فالله وصى بالإحسان إلى الوالدين، وجاءت الوصية عامةٌ، فبرهما في الحياة لا يقتصر على كف الأذى، وإنما يقدم الإنسان كل ما يستطيعه من الأقوال والأفعال التي يؤدي فيها شكر نعمة الوالدين، ويحسن فيها إليهما استجابةً لأمر الله ﷻ ، والبر لا يقف على الحياة بل يتعدى إلى ما بعد الموت، حتى قال بعض العلماء: الناس في البر على أقسامٍ: منهم من يرزقه الله بر الوالدين في الحياة وبعد الموت، ومنهم من يرزقه الله بر الوالدين في الحياة ويحرم البر بعد الموت، ومنهم من يحرم البر في حياة الوالدين ويرزق البر بعد وفاة الوالدين. فأما الذي رُزق بر الحياة وبر الموت: فهو الذي يقوم بحق الوالدين على أتم الوجوه وأكملها، ويحسن إلى والديه إحساناً عظيماً في حياتهما وبعد موتهما، وبعد الموت يكون بالدعاء والاستغفار والترحم، قال: يا رسول الله، هل بقي من بري لوالدي شيءٌ أبرهما به بعد موتهما؟ قال: (نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما). فكثرة الدعاء للوالدين بعد موتهما، وكثرة الاستغفار والترحم عليهما، وسؤال الله أن يفسح لهما في القبر، وأن يعظم لهما المثوبة والأجر، كل ذلك من البر. فقد يرزق الإنسان بر الحياة، فإذا مات والده نسي الوالد بموته، وتشاغل عنه بدنياه، فيحرم البر بعد وفاة والده – نسأل الله السلامة والعافية –، ومنهم من يكون من أبر الناس بأمه في حياتها، أو من أكثر الناس إحساناً إليها، فإذا ماتت وخرجت من

الدنيا فذاك آخر عهده بها، فهذا من الحرمان – نسأل الله السلامة والعافية –، حتى قال بعض العلماء: لا يأمن أن يكون من العقوق. حتى قيل لبعضهم: أيعق الرجلُ بعد موته؟ قال: نعم، إذا نسي الوالدين من الدعاء. يعني: لم يذكرهما بصالح الدعوات بعد الموت. والعكس، فقد يكون الإنسان من أعق الناس بوالديه في حياته، ولكن الله – سبحانه – يرحمه، فيرزقه الندم والتوبة والاستغفار، فيعطف قلبه على والديه، فيكثر من الدعاء لهما والاستغفار لهما والترحم عليهما، فيبلغه الله من البر خيراً كثيراً. جاء رجلٌ إلى ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – وقال: يا ابن عم رسول الله، لقد عققت أبي، فماذا تأمرني؟ قال: "أي بني، أكثر من الدعاء والاستغفار والرحمة، حتى يبلغك الله ما فات". فكثرة الدعاء للوالدين، والاستغفار لهما من بعد الموت، والصدقة عنهما، كل ذلك من القرَب، جاء سعدٌ ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي افتلتت نفسُها – بمعنى: أنها ماتت فجأةً –، وما أُراها لو بقيت إلا أوصت، أفأتصدق عنها؟ قال: (نعم). فتصدق سعدٌ عنها بالخراف – وهو حائطٌ وبستانٌ كان له أخرجه براً لأمه –، وهان عليه المال؛ إكراماً لأمه، هان عليه ماله، وهان عليه البستان، وقد كان البستان على عهد رسول الله ﷺ ، بل والله كانت التمرة على عهد رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً، حتى كان زاد الجيش جراباً من تمر، ومع ذلك خرج من بستانه؛ لإرضاء الله ﷻ في والديه، هان عليه أمام حق والدته. فإذا أراد الله أن يسعد العبد جمع الله له بين الحسنيين: بر والديه في حياتهما، والبر من بعد موتهما، كذلك من برهما بعد الموت: [....٢٥:٥٠] الوالدين، والإحسان إليهم، وبرهم بالزيارة، وإكرامهم وإجلالهم، قال بعض العلماء: إن ذلك من البر؛ لأن المحب إذا رأى ابن حبيبه تذكر ما بينهما من الود، وما بينهما من الرحمة، فدعا له، وتذكر ما بينهما من العهد، فاستغفر له، فيكون هذا من بر الابن لأبيه، فهذا من البر: أن يصل الإنسان أهل ود أبيه، أُثر عن ابن عمر – رضي الله عنه وأرضاه –: أنه خرج في حجه أو عمرته، فمر على أعرابيٍّ بالطريق، فأكرمه وأعطاه دابته، فقيل له: يا أبا عبدالرحمن – يرحمك الله – عمدت إلى راحلتك فأعطيتها إلى هذا الأعرابي! لو أعطيته دون ذلك لرضي، فقال – رضي الله عنه وأرضاه –: "إن أبا هذا كان صديقاً للخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه)" فهذا من البر.

يقول – عليه الصلاة والسلام –: **[(بر الوالدين)]** فيه دليلٌ على أن بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله ﷻ ، وذلك لأن النبي ﷺ جعل مرتبته بعد مرتبة الصلاة وقبل مرتبة الجهاد في سبيل الله، قال العلماء: إن بر الوالدين أفضل من الجهاد؛ لأن الله قرنه بتوحيده، وأكد هذا رسول الله ﷺ في هذا الحديث الصحيح، وكذلك – أيضاً – قالوا: إن النبي ﷺ جاءه رجلٌ من اليمن، فقال: يا رسول الله، أقبلت من اليمن أبايعك على الهجرة والجهاد، وتركت أبواي يبكيان، فقال – عليه الصلاة والسلام –: (أتريد الجنة؟) قال:

نعم، قال: (اِرجع إليهما، فأحسن صحبتهما، وأضحكهما كما أبكيتهما). وفي الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام –: أنه جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله، أقبلت من اليمن أبايعك على الهجرة والجهاد، قال: (أحيةٌ أمك؟) قال: نعم، قال: (الزم رجلها، فإن الجنة ثَمّ). وفي الحديث الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: (يأتيكم أهل اليمن أرق قلوباً وأفئدةً، فيهم أويسٌ القرْني) ثم قال – عليه الصلاة والسلام –: (من رآه منكم فليسأله أن يدعو له) وقد ذكر بره – عليه الصلاة والسلام – بأمه، قال: (كان من أبر الناس بأمه، وكان به برصٌ، وسأل الله أن يشفيه، فشفاه) وهذا يدل – كما يقول بعض العلماء –: أن البار بوالديه تستجاب دعوته، فمن أسباب قبول الدعاء: بر الوالدين، ولا شك أن الإنسان إذا أدخل السرور على والديه، وأرضى والديه، فإن الله يرضى عنه، ولذلك ثبت في الحديث الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: (رضي الله على من أرضى والديه). قالوا: فإذا أرضى والديه: رضي الله عنه، وإذا رضي الله عن عبده: استجاب دعوته، وأكرمه، وكان موفقاً لكل خيرٍ.

فضَّل النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد، فدل على أنه لا يجوز الخروج للجهاد إلا بإذن الوالدين، وعلى ذلك جماهير أهل العلم – رحمة الله عليهم – وأئمة الفتوى: على أنه لا يجوز الخروج للجهاد في سبيل الله إلا بإذن الوالدين، إذا كان الجهاد فرض كفايةٍ، وأما إذا تعين الجهاد في الثلاثة الأحوال المعروفة: إذا تقابل الزحفان، أو دهم العدو، أو استنفر الإمام، ففي أي واحدةٍ من هذه الأحوال الثلاث: يسقط البر، ويجب عليه الخروج للجهاد في سبيل الله، وأما ما عدا ذلك: فإنه لا يجوز له أن يخرج للجهاد إلا بعد إذن الوالدين.

[قلت: ثم أي؟] قال عبدالله ﵁ وهو يتلهف شوقاً لمعرفة الخير ومرضاة الله ﷻ: **[قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)]** أي: أحب الأعمال إلى الله بعد بر الوالدين: الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله: قتال من عادى الله ﷻ ورسوله من أجل إعلاء كلمة الله، لا رياءً، ولا سمعةً، قال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). والجهاد في سبيل الله من أجل القربات؛ لما فيه من الولاء والبراء في الله، الذي هو من أوثق عرى الإيمان: أن يحب العبدُ في الله، وأن يبغض في الله، فإذا فعل ذلك فقد ذاق حلاوة الإيمان وطعمه، ولأن المجاهد في سبيل الله يقدم أعز ما يملكه بعد دينه، وهو: نفسه التي بين جنبيه، باعها لله ﷻ فربح البيع في الدنيا والآخرة، ولذلك تكفل الله لأهل الجهاد بالعزة والتمكين والرفعة، وجعل الله ﷻ ذروة سنام الإسلام الجهاد، فما تركه قومٌ إلا ذلوا وهانوا، وجعل للمجاهد في سبيل الله من كرامات الدنيا والآخرة ما لا يحصى كثرةً، فالمجاهد في سبيل الله، مع ما أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من المغفرة والرحمة، والخير الكثير في الدنيا والآخرة، فإنه يكون له من الفضائل والخيرات يعرفها من يجدها، ومن قرأ سير السلف الصالح – رحمة الله عليهم – أدرك ذلك جلياً ظاهراً، فمن فضائل الجهاد في سبيل الله: أن العبد إذا

قتل في سبيل الله، غفر له عند أول قطرةٍ من دمه، فتتحاتُّ عنه ذنوبه، كما قال ﷺ: (يغفر للشهيد عند أول قطرةٍ من دمه)؛ لأن الله اشترى هذه النفس، فقبلها أن تبذل لوجهه وابتغاء مرضاته ﷻ، وأنه إذا استشهد تلقته الملائكة، ولذلك قال العلماء: سمي الشهيد "شهيداً"؛ لأن الملائكة تشهد عند الاحتضار، فتصعد بروحه كأنه يُزف إلى السماء. جعل جابرٌ بن عبدالله رضي الله عنه يوم أحدٍ يكشف وجه أبيه ويبكيه، فقال ﷺ: (ابكيه أو لا تبكيه، لا زالت الملائكة تظله حتى صعدت به إلى السماء) ولما اشتد أمر عبدالله بن حرامٍ على جابرٍ قال: يا رسول الله، أخبرني إن كان أبي في الجنة سلوتُ، قال: (يا جابر، إنها جنانٌ، وإن أباك أصاب الفردوس الأعلى من الجنة). فمن كرامات الجهاد في سبيل الله: أنه إذا استشهد ورفعت روحه، كانت في حواصل طيرٍ خضرٍ في الجنة تسرح فيها، تشرب من أنهارها، وتأوي إلى قناديل معلقةٍ بالعرش، قال ﷺ: (إن أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنة، تأكل من أشجارها، وتشرب من أنهارها، تأوي إلى قناديل معلقةٍ بالعرش).

ومن فضائل الجهاد في سبيل الله: أنه إذا استشهد العبد، فإنه يؤمن من فتنة القبر، قال ﷺ: (كفى ببارقة السيوف فتنةً) أي: كفى أنه ضربت عنقه في سبيل الله، ومن أجل " لا إله إلا الله " وإعلاء كلمة الله ﷻ، ولذلك يؤمن من الفتان، فلا يُسأل ولا يفتن في قبره.

ومن فضائل الشهادة: أنه إذا بُعث الناس يوم القيامة، يبعث الشهيد وجرحه يثعب دماً، كأنه قتل من ساعته، اللون لون دمٍ، والريح ريح مسكٍ، وثبت في الصحيح عنه – عليه الصلاة والسلام –: أنه لما قتل شهداء أحدٍ، وجندلوا على الأرض صرعى، قال – عليه الصلاة والسلام –: (زملوهم في ثيابهم، فإني شهيدٌ لهم بين يدي الله) أي: أشهد لهم أنهم قتلوا في سبيل الله.

فمن فضائل الشهادة: أنه إذا بعث يوم القيامة جرحه يثعب، قال ﷺ: (اللون لون دمٍ، والريح ريح مسكٍ) فالجهاد في سبيل الله من أحب الأعمال، وأفضلها، وأصدقها عبوديةً لله ﷻ، ولذلك رتبه النبي ﷺ بعد بر الوالدين. قال العلماء: من تأمل هذا الحديث الشريف وجد فيه ترتيباً عجيباً، فبدأ النبي ﷺ بأول الحق وأعظمه بعد التوحيد – وهو حق الله ﷻ – فقال: **[(الصلاة على وقتها)]** ثم لما كان بعد حق الله حقوق العباد، فأقرب الناس منك: والداك، فقال: **[(بر الوالدين)]**، ولما كان الجهاد يشمل الفضل، وأداء حق الله وحق عباده، قال ﷺ: **[(الجهاد في سبيل الله)]** ونفعه يتعدى لعموم الأمة، فابتدأ بالنفع الخاص – وهو بر الوالدين – على النفع العام؛ لعظيم حق الوالدين، وكونهما أولى بالمعروف من غيرهما.

في هذا الحديث إشكالٌ معروفٌ، فإن النبي ﷺ سئل – كما في الصحيح من حديث أبي هريرة –: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (إيمانٌ بالله) ثم قيل: ثم ماذا؟ قال: (جهادٌ في سبيل الله). فاستشكل

العلماء: كيف جعل الجهاد بعد الإيمان؟ وهنا جعل البر بعد الصلاة؟ فقال بعض العلماء: إن النبي ﷺ سئل في مواضع عديدةٍ، ومن أشخاصٍ متعددين، ويختلفون في أحوالهم، فكان إذا سأله الجلد القوي: حثه على الجهاد، وإذا سأله الخيِّر الذي هو لينٌ، ويريد ذكر الله وطاعة الله: دله على الذكر، ولذلك لما سئل – عليه الصلاة والسلام –: أي الإسلام خيرٌ؟ قال: (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) فقالوا: تنوعت أجوبته على حسب أحوال الناس واختلافهم. ولكن الصحيح: أنه لا تعارض بين هذه الأحاديث، فالإيمان بالله هو الأفضل؛ للقاعدة العامة، وهذا متفقٌ عليه – أن الإيمان هو أفضل ما يكون من العبد –، ويلي الإيمان بالله: الصلاة، بشهادة النصوص أن الصلاة أعظم شعائر الإسلام وشعائر الدين بعد التوحيد، ثم – بعد الصلاة –: بر الوالدين؛ لأن النصوص تشهد ببر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله، ولا نستطيع أن نقول إن حديث: " إيمانٌ بالله، ثم الجهاد.." يعارض حديث: " الصلاة على وقتها، ثم بر الوالدين.."؛ لأنه إنما تستقيم المعارضة أن لو قال – عليه الصلاة والسلام – في حديث الجهاد – بعد الجهاد –: "بر الوالدين"، فلو ذكر بعد الجهاد بر الوالدين، لاستقام التعارض. ولكن النبي ﷺ ذكر الجهاد وله فضله، وهذا لا يقتضي أنه أفضل من بر الوالدين، بشهادة النصوص بتفضيله – والله تعالى أعلم –.